المخلاة

للعالم الكبير بهاء الدّين محمّد بن حُسين العامليّ
صاحب الكشكول
المتوفى سنة ١٠٠٣ هـ

نسّقه وفهرسه ووضع هوامشه
محمّد خليل الباشا

عالم الكتب

الطبعة الأولى
١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م

حياة المؤلف وسيرته

هو محمد بن حسين بن عبد الصمد بن محمد الجُبَعيّ العـامليّ الحارثيّ الهمـدانيّ ، لُقِّب ببهاء الـدين وعُرف بـالبهاء العـامليّ . ولد في بعلبـك يـوم الاربعاء لثلاثٍ بقين من ذي القعدة سنة ٩٥٣ هـ ، ثم انتقل به والده إلى بلاد العجم وعمره لا يتجاوز سبع سنواتٍ ، وعـائلته أصـلاً من بلدة جُبع (جباع) من جبل عامل في جنوب لبنان (قضاء جزين) وهي عائلة كان يقول عنها « آباؤنـا وأجدادنا من جبل عاملة كـانوا دوامـاً مشتغلـين بالعلم والعبادة والزهـد وهم أصحـاب كراماتٍ ، ولما شربنا ماء العجم سُلبنا جميع ذلك ، ومـا زال الى اليـوم في جبل عـامل بعضُ الأُسـر تنتمي الى أخيه عبـد الصمد أخصُّهـا اسرة مروّة .

بدأ البهاءُ العامليُّ أخذ علوم العربية والفقه والأُصول والحديث والتفسير عن والـده الذي كـان يدرِّس في قـزوين في عصرٍ من عصـور الازدهار العلميِّ في أوائل أيام الدولة الصفويّة ، ثم أخذ عن العلامة عبد الله بن حسين اليزدي المشهور ، وعن غيره من جهابذة العلم والمعرفة ، وعنـدما تـرك والده قـزوين واستقـرَّ في مدينـة هراة في اصفهـان مركـز الدولـة الصفويّـة، لم يلبث ان ملَّ البقـاء في قزوين ولحق بـوالده الى هـراة حيث واصل الـدرس والتحصيـل ،

وحيث ذاع بعدئذٍ صيته ، وانتشر علمه وفضله .

جعل البهاءُ العامليُّ مقرَّ إقامته في هـراة ، فقلَّده السلطان طهماز الصفويُّ مشيخة الاسلام ، كما اسند إليه مهمَّة التدريس بعد استاذه العلامة المحقق الكركي . إلَّا أن همته العالية نبا بها طول المقام ، ومال الى السياحة والاسفار . فحجَّ بيت الله الحرام أوّلاً ، وزار مصر متنكراً بلباس الدراويش ، واجتمع الى أهل الفضل والعلم فيها ومنهم الاستاذ الكبير محمد بن أبي الحسن البكريِّ الذي بالغ في تكريمه وتعظيمه ،فسأله العامليٌّ مرّة : « لماذا تفعل هذا وأنا درويشٌ فقيرٌ » ، فقال له : « شممت فيك رائحة العلم والفضل » .

وغادر مصر الى القدس بثياب السيَّاح، ولزم بيت المقدس مجتنباًالناس ما استطاع ، لكنه لم يخفَ على عددٍ من العلماء الذين أقبلوا عليه يستفيدون من علمه ، ومنهم الرضيُّ بن أبي اللطف المقدسي الذي سأله عن كثيرٍ من المسائل العويصة فلقي أحسن الاجابات المفيدة .

وأمَّ دمشق فنزل في حيِّ الخراب ، واجتمع فيها الى الحافظ الحسين الكربلائي الذي استنشده كثيراً من شعره ، وفي مجلسٍ ضمَّه بالحسن البوريني ، كان هذا منصرفاً عنه لا يعيره أي انتباه ، إلى أن بدأ يتكلم ، فتعلقت به الانظار ، فنهضَ إليه البوريني يقول : « إن كان ولا بدَّ فأنت البهائي الحارثي إذ لا أجد في هذه المثابة إلَّاك » .

ثم توجه الى حلب بلباس الدراويش ، وحضر حلقة الشيخ عمر العرضي الذي شدَّته إليه بعدئذٍ صداقةٌ متينة ، إلَّا أنها انتهت بجدال عنيف بينهما حول مسائل أساسيَّة في الاسلام .

خلال تطوافه هذا ، الذي شمل معظم البلدان العربيَّة ، واستمرَّ قرابة

ثلاثين عاماً ، تسنّى له ان يسمع نوادر وحكماً ومواعظ وفوائد وطرائف ، فكان يضعها في كيسه ، بعضها فوق بعض ، فبقيت كما هي ، واذا بها كتاب المخلاة الذي نحن في صدده ، وكان على غراره بعدئذ كتاب الكشكول .

وحط به الترحال أخيراً بعد طول غياب في بلدته هراة التي تغزل بحبّها اثناء سياحته في أُرجوزة طويلةٍ جاء فيها :

يا حبّذا أيامنا اللواتي   مضت لنا ونحن في هراةِ
نسترق اللذاتِ والافراحا   ولا نملُّ الهزلَ والمزاحا
وعيشنا في ظلها رغيد   والدهر مسعفٌ بما نريدُ

وعلم الشاه عباس الصفوي بعودته الى أصفهان ، فشخص اليه بنفسه تجلةً واحتراماً ، واستدناه من بلاطه حيث صار صاحب المقام الأول والكلمة النافذة .

ويروي صاحب روضات الجنات الخوانسبوري ان سلطان العجم عباس الصفوي ركب يوماً في احدى نزهاته وفي موكبه الشيخ البهائي والشيخ محمد باقر داماد الحسيني المعروف بالاسترباذي ، وكان هذا بديناً ثقيل الهمّة ، ينوء بحمله جوادُه ، خلافاً للشيخ العاملي الذي كان هزيلاً أعجفَ خفيف الحركات ، فأسرّ السلطان في اذن الشيخ الحسيني قائلاً : « ألا ترى الى ذلك الشيخ كيف يختال به جواده أمام الركب فلا يمشي بوقار العلماء كما يفعل جنابك » فقال له الشيخ : « أيها الملك ان جواد الشيخ البهائي لا يستطيع ان يتأنّى من شغفه بما يحمل ، ألاَ تعلم من الذي يمتطيه ؟! » .

وبعد قليلٍ أسرَّ السلطان في أُذن الشيخ البهائي قوله : « ألا ترى الى حصان الشيخ يكاد ينوءُ بحمله ، أفليس الجدير بالعالم المحترم المطاع ان يكون خفيف الجسم طيِّع الحركات مثل جنابك » ! فقال الشيخ البهائي : لا

أيها الملك ، إن ما تراه من تعب الحصان هو من عجزه عن حمل علم الشيخ الذي يعجز عن حمله الجبل الراسي » فنزل السلطان عن حصانه وسجد يشكر الله على هذه الالفة النبيلة القائمة بين نبلاء زمانه .

مات الشيخ بهاء الدين العاملي في أصفهان سنة ١٠٣١ هـ ونقل الى طوس ، ودفن في داره القريبة من حفرة الامام الرضا عملاً بوصيته. مات الشيخ العاملي لكن ذكره لم يمت بل تخلَّف بعده أُمورٌ ثلاثة تخلِّده ، تلاميذه وكتبه وأعماله .

فمن حيث أعمالُه فإنَّه يُعدُّ ، في القرن الحادي عشر الهجري ، من المع العلماء ، وأبعدهم صيتاً ، وأرفعهم مكانةً ونفوذاً ، فإلى جانب ثقافته الاسلامية العالمية وتضلّعه من الفقه وعلوم الدين، كان عالماً أيضاً في الآداب والهندسة والحساب والجبر والفلك والحكمة وعلم الكلام وغيرها من العلوم التي لم يحُمْ حولها سواه كما قيل ، إلا ان شهرته في علوم الدين كانت هي الغالبة ، ومع ذلك فقد اشتهر عنه ، كما جاء في كتاب فلاسفة الشيعة ، انه تمكن من استعمال الطاقة الذرّية ، وانه توصل الى اكتشاف بعض قوانين الانعكاسات الصوتية المعروف اليوم بعلم الرادار ، وانه وضع ذلك موضع التنفيذ في بعض مساجد أصفهان فتسمع صوت الإمام أينما كنت في المسجد ، اما إذا تحوَّل الإمام من مكانه قيد خطوة فلا يسمعه إلاَّ من كان حوله ، وانه وضع قواعد للاشكال الهندسية المسطحة والمجسمة ، ويقال انه خلَّف شمعةً صنعها واوقدها في احد حمامات اصفهان لتسخين مياهه ، فبقيت موقدة لا تنطفيء قرابة ثلاثة قرون إلى ان فكَّك أجزاءها المهندسون الانجليز للاطلاع على سرّ صنعها ، فلم يتمكنوا من ذلك ، كما لم يتمكنوا من اعادة تشغيلها . ويقال أيضاً انه صنع ساعة ذات حركة دائمة بلا حاجة الى من يدوِّرها ، فضلاً عن أُمورٍ كثيرة غيرها نجتزيءُ عن ذكرها لغرابتها ، ولأنها

أدخلت هذا الرجل العظيم في حيّز الاسطورة .

أما مؤلفاته فكثيرة ومعظمها مطبوع ، وقد أحرزت اهتماماً كبيراً ، وشُرح أكثرها وعُلّق عليه ، ولا يزال بعضها في الحساب وعلم الهيئة يدرَّس في جامعات النجف وايران وغيرها من الجامعات الشرقية .

مؤلفاته المطبوعة :

١ ـ خلاصة الحساب ، تلخيص لكتابه المخطوط بحر الحساب ، طبعت في ايران والهند واستمبول ، وترجمت الى الالمانية سنة ١٨٤٣ والى الفرنسية سنة ١٨٦٤ ، وقد بلغت الشروح على هذا الكتاب تسعة لتسعة من كِبار المهتمين بشؤون الحساب .

٢ ـ تشريح الأفلاك : طبع في الهند عدة مرات ، وقد تناوله بالشرح عدد من العلماء بلغوا الى الآن الاثني عشر .

٣ ـ شرح الجغميني في الهيئة ويبحث في الهيئة وعلم الفراسة عند العرب .

٤ ـ الرسالة الاعتقاديّة ، طبع في ايران سنة ١٣٢٦ مع منظومة « مواهب المشاهد » لهبة الدين الشهرستاني .

٥ ـ الحبل المتين ، جمع فيه الأخبار الصحاح والحسان .

٦ ـ مشرق الشمسين ، في الحديث .

٧ ـ الفوائد الصمديَّة ، ألّفها لأخيه الشيخ عبد الصمد وفيها شرح موسّع لبعض الأيات القرآنية .

٨ ـ تهذيب البيان ، يبحث في بعض المسائل النحويَّة .

٩ ـ الزبدة في اصول الفقه ، شرحها المحقق جواد الكاظمي وهي مختصرة جامعة .

١٠ ـ رسالة في علم الذرّية تبحث في علم المواريث ، وهي مطبوعة في آخر

امل الآمال .

١١ ـ المخلاة ، طبعت اكثر من مرَّة في مصر وايران .

١٢ ـ الكشكول ، مجموعة نفيسة فيها الأدب والشعر ، وفيها فصول علمية في الهندسة وعلم المناظر والضوء والجبر والحساب وفي الفلسفة والتاريخ وغيرهما .

١٣ ـ أسرار البلاغة ، طبع مع المخلاة سنة ١٣١٧ ، وأعيد طبعه سنة ١٣٧٧ هـ .

١٤ ـ توضيح المقاصد ، فيه ما اتفق له في ايام السنة ، وذكر وفاة بعض العلماء طبع في مصر سنة ١٣١٣ هـ مع شرح بائيَّة الحميري ، وطبع في ايران سنة ١٣١٥ .

١٥ ـ العروة الوثقى في تفسير القرآن ، طبع في النجف سنة ١٣٠٣ ثم ١٣٤٤ هـ .

١٦ ـ شرح أربعين حديثاً ، وفيه فوائد شتَّى ، طبع في ايران سنة ١٣١٠ هـ .

١٧ ـ كتاب الاسطرلاب بالفارسية سماه التحفة الحاتميّة وهو مختصر من كتاب « بيت بابه » لنصير الدين الطوسي وقد طبع في ايران سنة ١٣١٦ .

مؤلفاته المخطوطة :

١ ـ تحقيق جهة القبلة ، نسخة في مكتبة كوركيس عوَّاد في بغداد ، ونسخة في مكتبة عباس الغراوي في بغداد .

٢ ـ بحر الحساب نسخة بخط المؤلف في مكتبة قُمّ ـ ايران .

٣ ـ توضيح خلاصة الحساب ، نسخة في مكتبة محمد امين النجفي الحجازي في قمّ ـ ايران .

٤ ـ ايضاح الحساب ، نسخة في مكتبة آل الطريحي في النجف .

٥ ـ حل الخلاصة لأهل الرئاسة ، نسخة في دار الكتب المصرية .

٦ ـ الصفيحة في الاسطرلاب ، نسخة في خزانة المتحف العراقي وهي ستة أجزاء ، وعليها شروح ثلاثة .

٧ ـ اثبات الانوار الالهيَّة ، نسخة في مكتبة راغب باشا في استمبول .

مؤلفاته المفقودة وقد ورد ذكرها في كتاب الذريعة لآغا بزرك .

رسالة في نسبة أعظم الجبال الى قطر الأرض . رسالة في ان انوار الكواكب مستفادة من الشمس ، رسالة في حلّ اشكال عطارد والقمر . شرح الفرائض البصرية للمحقق الطوسي (غير تامّ) . جواب ثلاث مسائل عجيبة . جواب المسائل المدنيات . جواب مسائل الشيخ صالح الجزائريّ وهي اثنتان وعشرون رسالة. حاشية على شرح العضدي على مختصر الأصول . الجامع العباسي ألَّفه للشاه عباس الصفويّ . شرح على اثنتي عشريَّة الشيخ حسن ابن الشهيد الثاني . حواشٍ على كتاب مختلف الشيعة . حاشية على تفسير البيضاوي . كتاب سوانح سفره الى الحجاز اكثره بالفارسية . عين الحياة وهو في تفسير القرآن . شرح الصحيفة المعروف بحدائق الصالحين . حاشية على كتاب من لا يحضره الفقيه في الحديث . حواشٍ على الزبدة لنصير الدين الطوسي . حواشٍ على التذكرة في الهيئة للطوسي ايضاً . الجبر والمقابلة . جبر الحساب ويقال إنه مات قبل ان يتمَّه بحسب ما جاء في « تراث العرب العلمي » لقدري حافظ طوقان.

ويقول صاحب الذريعة إنَّ ثمة مؤلفات كثيرة للبهائي طمرها الاهمال وغمرها النسيان .

بقي ان نذكر شيئاً عن تلاميذه الكثر الذين اخذوا عنه فصاروا من أعلام عصرهم ، وعددهم قد يزيد على المئة ، نذكر منهم الشيخ جواد بن سعد الله

البغدادي الكاظمي المعروف بالفاضل الجواد الكاظمي ، ومـلاً محسن الفيض الكاشاني وهو من كبار الفلاسفة المعروفين ، والسيد رفيع الدين محمد حيدر الطباطبائي الحسيني النائيني المشهور والأديب الكبير الشيخ محمد علي التبنيني العاملي . والشيخ زين الـدين بن محمد بن حسن بن زين الـدين العاملي ، وصدر المتألهين الشيرازي الفقيه ، والسيد ماجد البحراني .

هذا ما رأينا ان نذكره لتعريف القرّاء شخص الرجل العظيم الشيخ بهاء الدين العاملي ، ومن اراد الاستزادة يمكنه الرجوع الى كتاب « اعيان الشيعة » للسيد محسن الأمين، وكتاب « فلاسفة الشيعة » للشيخ عبد الله نعمه ، وتاريخ جباع للشيخ علي مروة - وكتاب معالم الأدب العاملي للدكتور عبد المجيد الحرّ ، ومن القدماء اورد سيرة حياته ابن معصوم والشهاب والخفاجي وأبو المعالي الطالوي والبديعي والمنيني والمحبّي وغيرهم ، وقد أطالوا في الثناء عليه ووصف علمه وفضله .